ALDEBAL, BIANNUAL, PEER REVIEWS ACADEMIC RESEARCH JOURNAL
Vol. 9, No. 1 || January -June 2025|| P. 1-36
ISSN: 2415-5500
الديبل (يناير– يونيو 2025ء)

العدول في البِنى التركيبيّة ودِلالاتها البلاغيّة في علم المعاني
(جزء تبارك أنموذجًا)

SYNTACTIC DEVIATION AND ITS RHETORICAL IMPLICATIONS IN 'ILM AL-MA'ĀNĪ – A STUDY OF JUZ' TABĀRAK

صفية الرفاعي* **أ.د. أحمد توران أرسلان****

Abstract:

This research focuses on the study of syntactic deviation (ʿudūl) within sentence structures, based on the discipline of syntax, which examines how words are arranged within a sentence and the grammatical and semantic relationships between them. Any alteration to this system naturally results in a shift in meaning. Syntactic deviation is not a random violation of normative structures but rather a deliberate rhetorical and contextual choice that serves specific communicative purposes. The main objective of the study is to explore the rhetorical implications of such deviations by analyzing examples from Juzʾ Tabārak and evaluating the effect of these phenomena on the expressiveness and stylistic richness of the text. Sentences cannot be fully understood in isolation; their meanings shift according to context. Thus, syntactic deviation serves to direct, enrich, and intensify the intended message. The research is divided into four main sections: The first section examines deviation in both declarative (khabari) and imperative (inshāʾi) structures, analyzing their rhetorical functions. The second section explores the impact of word order shifts (taqdīm wa-taʾkhīr), and how they attract attention and emphasize certain meanings. The third section focuses on ellipsis (ḥadhf), discussing its role in conciseness, subtlety, and mental engagement. The fourth

* طالبة دكتوراه بجامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية، معهد الدراسات العليا – قسم العلوم الإسلاميّة، برنامج العلوم الإسلاميّة باللغة العربيّة.

EMAIL: safiyealahmad55@gmail.com, **ORDID**: 0009-0003-2773-8080

** بروفيسور دكتور بجامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية، قسم اللغة العربية وبلاغتها،

EMAIL: atarslan@fsm.edu.tr, **, ORDID:** 0000-0001-5578-2183,

section is dedicated to the stylistic feature of iltifāt (grammatical shift), one of the richest and most expressive forms of syntactic deviation. The study concludes that syntactic deviation, in its various forms, plays a significant role in enhancing textual cohesion and semantic density, while also highlighting the beauty and diversity of Qur'anic expression.

Keywords: Deviation, Syntax, Structure, Meaning, Rhetoric, Juzʾ Tabārak.

الملخص:

يركّز هذا البحث على دراسة العدول في البنى التركيبيّة، انطلاقًا من علم التركيب، الذي يهتمّ بكيفيّة انتظام الكلمات داخل الجملة، والعلاقات النحويّة والدلاليّة بينها، وما يطرأ على هذا النظام من تغييراتٍ تؤدّي إلى تحوّلٍ في الدلالة. فالعدول في التركيب ليس خرقًا اعتباطيًا للبنية المألوفة، بل هو تحوّلٌ مدروسٌ يخدم مقاصد بلاغيّة وسياقيّة محدّدة.

وقد جاء الغرض الرئيس للبحث في الكشف عن الدلالات البلاغيّة الناتجة عن هذا التحوّل، من خلال استقراء نماذج من جزء تبارك، ومحاولة تحليل تأثير هذه الظاهرة على فاعليّة النصّ وثرائه البيانيّ، فالجمل لا تُفهم منعزلةً عن السياق، بل تتلوّن معانيها بحسب المقام، ويؤدّي العدول فيها إلى توجيه المعنى وإثرائه وتكثيف دلالاته.

قُسّم البحث إلى أربعة مباحث :تناول المبحث الأوّل العدول في الأسلوب الإنشائيّ والخَبَريّ، مع الوقوف على مقاصده البلاغيّة. أمّا المبحث الثاني، فخصّص لدراسة أثر العدول في أسلوب التقديم والتأخير، وما يُحدثه من لفتٍ

واهتمامٍ. واهتمّ المبحث الثالث بالعدول في أسلوب الحذف، وما فيه من دقّة وإيجاز وإثارة للذهن .في حين خُصِّص المبحث الرابع لأسلوب الالتفات، بوصفه أحد أبرز صور العدول التركيبيّ وأغناها دلالة.

وفي الختام، انتهى البحث إلى أنّ العدول، في مستوياته المختلفة، يُعدّ من أبرز الظواهر الأسلوبيّة التي تسهم في تماسك النصّ وتكثيف معناه، وتُبرز جماليّات التعبير القرآنيّ وتنوّع مقاصده.

الكلمات المفتاحية :عدول، بنية، تركيب، دلالة، بلاغة، جزء تبارك.

مقدمة:

القرآن الكريم ينبوعٌ لا ينفد، يأسر القلوب، ويتربّع على عرش الفكر والوجدان. ومن أبهى مظاهر إعجازه البلاغيّ المتدفق، أسلوب العدول، الذي لا يقتصر أثره على كلمةٍ أو جملةٍ، بل يشعُّ في سياق النصّ كلّه، ويتغلغل في نسقه العامّ والخاصّ.

فاللفظة المختارة في القرآن تحمل دلالتها الدقيقة ضمن سياقها الخاصّ، ولا يستبدلها بديلٌ دون أن يختلّ المعنى أو تضعف قوّته. وعند تدبّر أثر العدول على مستوى الدلالة، يتبدّى دوره في إبراز المعنى بوضوح وجلاء، ويمنح الصورة البلاغيّة حيويّةً وانسيابيّةً متدفقة.

ولذا، يُعتبر أسلوب العدول من أبرز سمات البلاغة القرآنيّة، التي تُسهم في كشف أسرار التراكيب، وتغوص في عمق أنساقها البيانيّة، لتمنح النصّ دقّةً

وعمقًا يميزانه عن سواه.

أسباب اختيار موضوع البحث:

1ـ حين كنتُ أدرسُ البلاغةَ ضمنَ مقررات المنهج الدراسيّ، كانت تستهويني بشدّة، لما تحمله من إشاراتٍ خفيّةٍ، ولمحات دقيقةٍ كامنةٍ خلف الألفاظ، تُضفي على المعنى عمقًا وثراءً.

2ـ إبرازُ جمالِ البلاغةِ القرآنيَّة، وما تحمله من روعةٍ في بنائها وتراكيبها، حيثُ تُظهر مرونةً فائقةً في التعبير، وقدرةً مدهشة على احتواء وجوهٍ متعدّدة من المعاني والدلالات، تفتحُ أمام القارئ آفاقًا لا تُحدّ من الفهم والتأويل.

3ـ السعي إلى الكشف عن الدلالات البيانيّة الكامنة في العدول التركيبيّ ضمن سور جزء تبارك، وبيان الحكمة البلاغيّة وراء ورود هذه التراكيب بتلك الصيغ بعينها، وذلك من خلال تتبّع المعاني المستترة، والوقوف على ما وراء الألفاظ من إشارات ودقائق بلاغيّة تثري النصّ وتُعمّق فهمه.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الرئيس: ما العدول في البنية التركيبية؟ وينبثق عن هذا السؤال الأسئلة الفرعيّة التالية:

1 ـ ما دلالات العدول في أسلوب الإنشاء والخبر؟

2 ـ ما دلالات العدول في أسلوب التقديم والتأخير؟

3 ـ ما دلالات العدول في أسلوب الحذف؟

4 ـ ما دلالات العدول في أسلوب الالتفات؟

أهميّة البحث:

تتجلّى أهمية هذا البحث في كونه يتناول قضيّةً جوهريّةً من قضايا نظم القرآن الكريم، وهي العدول في التراكيب في آياتٍ من جزء تبارك وما ينطوي عليه من دلالاتٍ بيانيّةٍ عميقةٍ، ذلك أنّ ترتيب الألفاظ والآيات ليس أمرًا شكليًّا، بل هو من أعمدة المعنى، ومقوّمات الفصاحة والبيان .فكم من لفظةٍ لو غُيِّر موضعها اختلّ النسق، وتعثّر المعنى، وافتُقد جمال الأداء وبلاغة التوصيل.

وليس بخافٍ أنّ من أعظم أسرار التعبير العربيّ الفصيح أن تُوضع الكلمة في موضعها الذي تقتضيه حكمة السياق، سواء تقدّمت أو تأخرت، إذ لكلّ موقعٍ دلالتُه، ولكلّ حذف أو التفات أثره البيانيّ الذي لا يُستبدل.

وإذا كان العدول قد نال نصيبه من الدراسة في عموم القرآن الكريم، فإنّ جزء تبارك خاصّةً لا يزال بحاجةٍ إلى دراسة تفصيليّةٍ تُبرز أثر هذا الأسلوب في بناء المعنى وتصوير المشهد، إذ طالما عُولجت هذه الظاهرة معالجةً مجملةً، ولم تُستوفَ بعدُ حقّها من التأمّل في سياق جزء تبارك.

أهداف البحث: تبرز أهداف البحث من خلال:

1 ـ بيان العدول في التركيب الإنشائي والخبري ودلالته البلاغية.

2ـ بيان العدول في أسلوب التقديم والتأخير ودلالته البلاغية.

٣.بيان العدول في أسلوب الحذف ودلالته البلاغية.

٤ـ بيان العدول في أسلوب الالتفات ودلالته البلاغية.

حدود البحث:

يُعنى هذا البحث بحصر النظر في مواضع العدول التركيبيّ الواردة في آياتٍ منتقاةٍ من "جزء تبارك" على وجه الخصوص، دون الانفتاح على سائر أنماط القرآن الكريم، مستهدفًا الوقوف على الدلالات البلاغيّة العميقة التي يُفضي إليها هذا الأسلوب، وتحليل أثرها في توجيه المعنى وتكثيفه. وقد اقتصر التناول على نماذج محدّدة من صور العدول التركيبيّ، دون الانخراط في استقصاء شاملٍ لأنواعه الأخرى أو امتداداته في غير هذا السياق القرآنيّ، رغبةً في التركيز والدقّة، واستجلاءٍ أوفى لأثر العدول في ثنايا هذا الجزء المبارك.

منهج البحث:

يعتمد البحث على تحليل واستنباط الدلالات البلاغيّة لأساليب العدول، وبيان أثرها على المعنى، فهو منهج وصفيّ تحليليّ، يرتكز على الاستقراء لآيات جزء تبارك .من أجل الخروج بنتائج موضوعيّة بحتة، وذلك تبعًا لما نصّت عليه بعض مناهج البحث الحديثة وبخاصّة ما يتعلّق منها بالدراسات القرآنيّة.

مقدمة تمهيدية:

إنَّ المفهوم العامَّ للعدول يدورُ حولَ معنى الخروج عن المتعارَف السائد لخصوصيّةٍ يقتضيها السياق، أو المخالفةِ في أصل الوضع اللغويّ، أو مخالفة مقتضى الظاهر، عند قدماء علماء البلاغة. وقد أفاد العلماء كثيرًا منه في تطبيقاتهم البلاغيّة، وتناولوه حسب ما يقتضي السياق دون تكلُّفٍ.

والبنيةُ التركيبيّة: هي الصورةُ التي تنتظم فيها المفردات ضمن نسقٍ لغويٍّ تتداخل فيه علاقات السياق والتجاور بين الألفاظ السابقة واللاحقة، ممّا يُفضي إلى تكوين جملٍ تحمل دلالاتٍ مقصودة، تُسهم في بناء المعنى، وتؤدّي وظيفة التواصل داخل السياق. وباختصار، فإنّ التراكيب النحويّة تؤدّي دورًا محوريًّا في البلاغة العربيّة؛ فحُسن تنظيم الجُملة وسلامة بنائها يُعزّزان من إيصال الفكرة بأسلوبٍ أكثر تأثيرًا وبلاغة، كما يُسهمان في تكثيف المعنى وتجويد الإيجاز في التعبير.

1. المبحث الأوَّل: العدول في الأساليب الإنشائية والخبرية:

1.1 المطلب الأوَّل: العدول في الأساليب الإنشائية:

يعدّ العدول أحد أبرز الظواهر البلاغية في اللغة العربيّة، وهو خروج المتكلِّم عن الأصل أو المتوقَّع في التعبير إلى صيغة مغايرة، لما في ذلك من أثر بلاغي يضفي جمالاً وعمقًا على المعنى. وتزداد أهميّة العدول في الأساليب الإنشائيّة، حيث لا يُراد من القول مجرّد الإخبار، بل التأثير في المتلقِّي، وتحريك وجدانه، واستمالة مشاعره.

فالأسلوب الإنشائيّ، بما يتضمّنه من أمرٍ ونهيٍ واستفهامٍ، يقوم في جوهره على الإيحاء والتوجيه، ممّا يفسح المجال أمام البلاغة لتفعيل طاقاتها التعبيريّة. وهنا يأتي العدول ليكسر الرتابة، ويضفي طابعًا دلاليًّا خاصًّا يُعبّر عن مقاصد

المتكلّم وسياقات الخطاب، سواء أكان ذلك لتحقيق التوكيد، أو التهكّم، أو التعظيم، أو غيرها من الدلالات التي لا تظهر في الأسلوب المباشر.

من هذا المنطلق، تتجلّى قيمة العدول في الأساليب الإنشائيّة، ليس فقط بوصفه انحرافًا عن الأصل، بل بوصفه اختيارًا مقصودًا ينبع من الحاجة إلى الإيحاء والتأثير، وهو ما يجعله محورًا من محاور علم المعاني، الذي يعنى بدراسة العلاقات بين التراكيب والمعاني وسياقاتها.

سأعرض نماذج على كلّ نوع من أنواع العدول مستمدًّا من جزء تبارك، بهدف الكشف عن اللطائف الفنيّة والدلالات البلاغيّة التي تُجسّد بعض ملامح هذا الأسلوب.

أسلوب الأمر:

الأمر في أصله يُفهم منه الإلزام، لكنّه قد يُستعمَل أحيانًا في معانٍ بلاغيّة أخرى، يفرضها السياق الذي يَرِد فيه. ومن لطائف العدول في أسلوب الأمر في جزء تبارك أنَّ الفعل (ذَرْ) لا يُستخدم غالبًا على وجه الاستعلاء وإنَّما يخرج إلى معنى التهديد والوعيد كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾[1]، إذ جاء الأسلوب في صورة الأمر، وهو في الأصل يدلّ على الطلب الجازم، أي الوجوب، غير أنّه هنا خرج عن معناه الأصليّ، وعُدِل

[1] سورة المزَّمِّل، الآية11.

به إلى التهديد والوعيد، لا إلى حقيقة الطلب.

وقد ورد هذا الأسلوب في موضعٍ آخر مشابه، في قوله سبحانه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[2]، حيث استُخدم الفعل (ذَرْنِي) أمرًا، لكنّه لا يُراد به حقيقته، بل المقصود منه التهديد الشديد والتوعّد الصارم، بما يناسب مقام الخطاب، الذي يتوجّه إلى فئةٍ من المشركين المتكبّرين الذين قابلوا دعوة النبيّ ﷺ بالتكذيب والإعراض[3].

فالعدول هنا يتمثّل في استعمال صيغة الأمر (ذَرْنِي، ومَهِّلْهُمْ) في غير معناها الأصليّ، ليؤدّي وظيفةً بلاغيّةً أبلغ وأقوى، وهي التخويف والوعيد الشديد، لا الطلب الحقيقيّ. وهذا النمط من العدول يُعطي الكلام قوّةً وشدّةً، تتناسب مع مقام الغضب والانتقام الإلهيّ من الجاحدين الطغاة.

الاستنتاج: إنّ هذا النوع من العدول يُمثّل انتقالًا مقصودًا من المعنى الظاهريّ للأمر إلى معنىً بلاغيٍّ أعمق، تفرضه المقامات والسياقات، وهو ما يُبرز براعة الأسلوب القرآنيّ في توظيف البنية النحويّة لخدمة المقاصد البلاغيّة، من

---

[2] سورة المدثر، الآية 11.

[3] محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط.2، 1384هـ/ 1964م)، ج19، ص70؛ سيد قطب، *في ظلال القرآن* (القاهرة: دار الشروق، ط.35، 1425هـ/ 2005م)، ج6، ص3756.

غير أن يَخرج عن فصاحته وإعجازه.

ومن الأساليب البلاغيّة التي يُوظَّف فيها أسلوبُ الأمر على غير حقيقته: أسلوبُ التعجيز والتحدِّي، حيث يُستعمَل الأمر لإظهار عجز المخاطب عن تنفيذ ما طُلِب منه، لأنّه أمرٌ خارج عن نطاق قدرته وإمكاناته. وتكمن العلاقة بين الأمر والتعجيز في شبهِ التضادّ بينهما؛ فالأمر في أصله يُوجَّه نحو الممكن[4]، بينما يُستعمل التعجيز فيما لا يُطاق.

وقد سلك القرآن الكريم هذا المسلك البلاغيّ الفريد في مواضع عدّة، تحدّى فيها العربَ، وأظهر عجزهم، وسجّل عليهم قُصورهم بأسلوبٍ مؤثّر وبلاغةٍ فائقة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[5]، فالفعل (فليأتوا) جاء على صيغة الأمر، غير أنّه لا يُراد به حقيقته (أي طلب الإتيان)، وإنّما خرج عن معناه الأصليّ وعدل إلى التعجيز والتهكّم .وهذا ما بيّنه القرطبيّ[6] (ت 671هـ)، إذ فسّر الأمر هنا بأنّه تعجيزٌ للمشركين، إذ لا يملكون شركاء يمكنهم نصرتهم أو الاستجابة لهم.

فالعدول البلاغيّ في هذا السياق يتمثّل في توظيف بنية الأمر (فليأتوا) في غير

[4] محمد بن عرفة الدسوقي، *حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني*، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: المكتبة العصرية، د. ط، د.ت)، ج2، ص409.

[5] سورة القلم، الآية 41.

[6] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ج18، ص248.

معناها الأصليّ، لتؤدّي وظيفة أبلغ، وهي إظهار العجز والتحقير والتنديد، لا الأمر الحقيقيّ الناشئ عن تكليفٍ أو إلزام.

ويُفهم من هذا الأسلوب أنّ الخطاب لا يُراد به التنفيذ، بل هو في جوهره بيانٌ لعجزهم، وإبطالٌ لألوهيّة مَن يعبدونهم من دون الله تعالى، وإظهارٌ لضعف حجّتهم.

الاستنتاج: إنّ العدول في أسلوب الأمر من دلالته الأصليّة (الطلب) إلى دلالة التعجيز، يُمثّل مظهرًا من مظاهر الإعجاز البلاغيّ في القرآن الكريم، حيث يُستثمر البناء التركيبيّ لتوصيل معنى قويّ يتجاوز حدود اللغة الظاهرة إلى أعماق الدلالة والسياق، ممّا يُبرز فصاحة التعبير القرآنيّ، ويؤكّد إحكامه وبلاغته المعجزة.

يتّضح من خلال ما تقدّم أنّ أسلوب الأمر لا يقتصر على دلالته الأصليّة في الإلزام والوجوب، بل يتّسع ليستوعب دلالات بلاغيّة متعدّدة تتنوّع بتنوّع السياقات والمقامات التي يرد فيها. فالأمر قد يُستعمل للتهديد، أو التمنّي، أو الإرشاد، أو التهكّم، أو التحقير، وغير ذلك من المعاني التي يفرضها المقام، ويكشف عنها السياق.

وقد مثّل العدول في البِنى التركيبية عنصرًا فاعلًا في إبراز هذه المعاني، إذ يُعدّ وسيلة بلاغيّة راقية للتعبير عن مقاصد أعمق من مجرّد الطلب، ممّا يُضفي على الخطاب ثراءً فنيًّا ودقّة في الأداء. ويُظهر القرآن الكريم في استعمالاته لأسلوب الأمر قمّة البلاغة، إذ يوظّف هذا الأسلوب توظيفًا دقيقًا يراعي

المقام، ويُعبّر عن المعنى بأقصر طريق وأقوى تأثير.

وبذلك، فإنّ دراسة أسلوب الأمر، خصوصًا في ضوء العدول البلاغيّ، تكشف عن أبعاد جماليّة ودلاليّة عميقة تُبرز طاقة اللغة العربيّة وقدرتها على الإيحاء والتأثير.

ـ أسلوب النهي:

النهي هو أسلوبٌ يُراد به طلب الامتناع عن فعلٍ ما، يصدر من جهةٍ عليا إلى جهةٍ أدنى[7]، متضمّنًا معنى الإلزام والاستعلاء. وصيغته الأساس واحدة، تتمثّل في الفعل المضارع المسبوق بـ(لا) الجازمة[8]، كأن يُقال: (لا تفعل). غير أنّ هذه الصيغة قد تخرج عن معناها الأصليّ الذي يدلّ على الكفّ والإلزام، لتُستخدم في معانٍ بلاغيّة أخرى تتنوّع بتنوّع السياقات والمقامات. فالسياق هو الذي يُحدّد المراد، وتُفهم تلك المعاني من خلال القرائن اللغويّة والسياقيّة المصاحبة للتركيب، ومن أمثلة تلك المعاني: الدعاء، والالتماس، والتمني، والتقريع، وغيرها.

---

[7] بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، *عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح*، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: المكتبة العصرية، ط.1، 1423 هـ / 2003 م)، ج1، ص470.

[8] عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الإسفراييني، *الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم*، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، د.ت)، ج1، ص600.

ويظهر هذا التوسّع الدلاليّ جليًّا في بعض المواضع من جزء تبارك، حيث يُستخدم أسلوب النهي لا بالمعنى الأوّلي للكفّ والإلزام، بل لغايات بلاغيّة تعبيريّة يُحدّدها السياق وتُدلّ عليها الحال، منها:

أسلوب الدعاء: ويكون ذلك حين يُوجَّه النهي من الأدنى إلى الأعلى[9]، فيتحوّل من معنى الكفّ عن الفعل إلى طلبٍ خفيّ يحمل في طيّاته رجاءً أو التماسًا، بحسب مقام الخطاب. وغالبُ ما يَرِد من هذا اللون في القرآن الكريم يكون في سياق الدعاء بالخير، غير أنّه قد يأتي في سياق الدعاء بالشرّ، لا سيّما على لسان الأنبياء حين يدعون على أقوامهم بعد أن أُغلقت أمامهم أبواب الهداية.

ومن النماذج الدالّة على ذلك قول الله تعالى على لسان نبيّه نوحٍ عليه السلام:﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[10]، فقد جاءت صيغة النهي (لا تَزِدْ) في ظاهرها على بناء الكفّ، ولكنّها في السياق لا تُفيد النهي الحقيقيّ، بل عدلت عن معناها الأصليّ إلى معنى الدعاء، وهو ما يُفهم من مجمل الخطاب، ومن كون المتكلّم عبدًا يناجي ربَّه.

وقد أشار إلى هذا المعنى القرطبي (ت 671هـ) وابن عاشور (ت

[9] عبد الرحمن بن حسن حبنّكة، *البلاغة العربيّة* (دمشق: دار القلم – بيروت: الدار الشاميّة، ط.1، 1416 هـ/ 1996م)، ج1، ص291.

[10] سورة نوح، الآية28.

1393هـ)[11]، إذ بيّنا أنّ هذا الدعاء جاء بعد أن أوحى الله إلى نوحٍ –عليه السلام– أنّه لن يؤمن من قومه إلّا من قد آمن، فكان هذا الدعاء بمثابة إعلان لانقطاع الرجاء، والتسليم بالأمر الإلهيّ، ومطالبة بوقوع العقاب الإلهيّ على الظالمين.

العدول البلاغيّ هنا يتجلّى في تحويل صيغة النهي (لا تَزِدْ) من معناها الأصليّ – الكفّ عن الفعل – إلى دعاءٍ بالهلاك والهدم، وهذا التحوّل يُبرز قدرة البنية العربيّة على التعبير عن معانٍ متعدّدة من خلال صيغةٍ واحدةٍ، يُحدّد وظيفتها المقام والسياق.

الاستنتاج: إنّ استعمال النهي بصيغة (لا تفعل) في غير دلالته الأصليّة يُعدّ من مظاهر العدول البلاغيّ في القرآن الكريم، حيث تتغيّر الوظيفة التركيبيّة لتُؤدّي دلالة أعمق وأكثر تأثيرًا. وفي قوله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ نلحظ كيف تحوّل النهي إلى دعاء يحمل التهديد والإدانة والطلب الجازم بالعقاب، وهو ما يعكس دقّة التعبير القرآنيّ وبلاغته العالية في توظيف الأسلوب لمقاصد معنويّة راقية.

ـ الاستفهام:

الاستفهام هو طلبُ المعرفة أو الفهم بشأن أمرٍ لم يكن معلومًا من قبل،

[11] محمد الطاهر ابن عاشور، *التحرير والتنوير* (تونس: الدار التونسية للنشر، د. ط، 1404هـ/ 1984 م)، ج29، ص240.

ويُصاغ بأداةٍ خاصّة[12]، تدلّ على هذا الغرض. غير أنّ الاستفهام، كما هو حال كثير من الأساليب البلاغيّة، قد يخرج عن معناه الأصليّ ليُؤدّي معانيَ أخرى تُغني الأسلوب، وتُضفي عليه أبعادًا إيحائيّة تستمدّ قوّتها من السياق العامّ للنصّ. وفي إطار دراستنا لأسلوب الاستفهام، سنسعى إلى تتبّع بعض نماذجه التي يُلاحظ فيها العدول عن المعنى الأصليّ، لنبين كيف يُسهم هذا التحوّل في توصيل دلالاتٍ جديدةٍ، وإيحاءاتٍ بلاغيّةٍ تعبّر عن مواقف شعوريّة وفكريّة تتجاوز حدود السؤال المباشر. ومن هذه المعاني:

العدول إلى التقرير، كما يظهر في قول الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾[13] ، فقد ورد الاستفهام هنا في صورة نفيٍ يُراد به الإثبات، وهو ما يُعرف بـ(الاستفهام التقريريّ)، حيث لا يُراد من السؤال طلبُ الجواب، بل إلزامُ المخاطب بالإقرار بما لا يستطيع إنكاره. قد أوضح الزركشيّ) ت 794هـ) [14] أنّ الاستفهام التقريريّ يُستعمل غالبًا حين يُطرح السؤال على

[12] عبد العزيز عتيق، *علم المعاني* (بيروت: دار النهضة العربية، ط.1، 1430هـ / 2009 م)، ص88.

[13] سورة القيامة، الآية 40.

[14] بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (حلب: دار إحياء الكتب العربية، ط.1، 1376 هـ / 1957 م)، ج2، ص 328؛ ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج29، ص68؛ عصام الدين إبراهيم بن محمد

صورة نفيٍ، بينما يُراد به إثبات الأمر المنفيّ، وذلك لتوسيع المجال أمام المخاطَب، إن أراد الإنكار، مع إدراك المتكلِّم أنّ هذا الإنكار غير ممكن في الواقع، لما لديه من يقين بأنّ المخاطب عاجز عن الردّ أو المجادلة.

فالعدول التركيبيّ في هذه الآية يتمثّل في استخدام أسلوب النفي مع الاستفهام (أليس...)، لا لنفي القدرة، بل لتأكيدها بأقوى صورة بلاغيّة. وهذا التحوّل من السؤال الظاهريّ إلى الإلزام التقريريّ يُعطي الخطاب قوّة حِجاجيّة، ويجعل المُخاطب في موقفٍ لا يسعه فيه إلّا التسليم والإقرار.

الدلالة البلاغيّة لهذا النوع من الاستفهام تتّسم بالثقة من المتكلِّم في حجّته، وتُعبّر عن تمام اليقين، حتى يُلقى السؤال بشكلٍ يجعل الجواب ضمنيًّا حاضرًا في ذهن السامع، دون حاجة إلى نُطقه.

الاستنتاج: إنّ الاستفهام التقريري يُعدّ من أبرز مظاهر العدول البلاغيّ في بنية الاستفهام، حيث ينتقل من مجرّد الاستعلام إلى صيغةٍ حجاجيّة تُلزم المخاطب بالإذعان، وتُضفي على الخطاب قوّةً وجدانيّةً ومعنويّة تُعزّز مقصد المتكلِّم، وتُظهر بلاغة التعبير القرآنيّ في توظيف الأسلوب بما يناسب المقام ومنه ماورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[15]،

بن عربشاه الإسفراييني، *الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم*، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، د.ت)، ج1، ص592.

[15] سورة الملك، الآية18.

في صورة بنيّة تركيبيّة تدل على العدول عن المعنى الأصليّ للسؤال، إلى دلالة بلاغيّة تتجاوز الطلب إلى التهديد والإنكار. وقد أوضح البيضاويّ[16] أنّ كلمة (كيف) هنا ليست للاستفهام الحقيقيّ، بل خرجت إلى معنى الإنكار المقرون بالتقرير، إذ يُنزّل العذاب بالكافرين السابقين، ويُستخدم ذلك تهديدًا لقوم النبيّ –صلى الله عليه وسلم– بسبب إيمانهم الخاطئ، مع تعزية للنبيّ –عليه الصلاة السلام– وتعجّب من موقف المشركين. فالاستفهام بهذا المعنى يُذكّرهم بالعقاب الذي وقع على من سبقهم، ليكون عبرة لهم.

ويرى البيضاويّ أنّ حمل الاستفهام على معنى التعجب هو الأوضح، في حين يرى أبو حيّان [17]: أنّ الاستفهام هنا يعبّر عن تعظيم الأمر، ويحمل أيضًا معنى التهديد لمشركي قريش، أي أنّهم معرضون لنكير مماثل، ويُقصد بـ(النكير) هنا مصدرٌ بمعنى الإنكار الشديد أو العقاب.

فالعدول في البنية التركيبيّة يتمثّل في انتقال أداة الاستفهام (كيف) من معناها الدقيق في السؤال الحقيقيّ، إلى وظيفة بلاغيّة متعدّدة تشمل الإنكار، والتعجّب، والتهديد، والتعظيم، وذلك كلّه من خلال توظيف السياق والقرائن

[16] ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط.1، 1418 هـ)، ج5، 230.

[17] محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، *البحر المحيط*، تحقيق: صدقي محمّد جميل العطّار وآخرين (بيروت: دار الفكر،1420 هـ/ 2000 م)، ج8، ص560.

اللغويّة.

الدلالة البلاغيّة لهذا النوع من الاستفهام تُبرز قوّة الخطاب القرآنيّ في استخدام أدوات اللغة لتوصيل معانٍ مركّبة، تجعل السامع يدرك مدى جدّيّة الموقف، وتُظهر تحذيرًا شديدًا في صيغة أدبيّة بليغة.

الاستنتاج :إنّ الاستفهام في هذه الآية مثال بارز على العدول البلاغيّ، حيث يتجاوز دوره الأصليّ إلى أداة تعبيريّة متعدّدة الوظائف، تعزّز وقع الرسالة وتُقوّي أثرها النفسي، ممّا يُبرهن على روعة التعبير القرآنيّ ودقّته في توظيف الأساليب اللغويّة بما يتناسب مع المقام.

1.2.المطلب الثاني: الأسلوب الخبريّ:

هو ما يُمكن أن يكون صحيحًا أو خاطئًا بذاته، فإذا توافق الحكم اللغويّ مع الواقع الخارجيّ في الإثبات أو النفي، كان القول حينئذٍ صادقًا، وإلّا فَيُعتبر كاذبًا[18].

يبرز العدول في الأسلوب الخبرِيّ من خلال الأهداف والغايَات التي يتجاوز بها المعنى الأصليّ، وكذلك في تأويلاته التي تختلف عن دلالات الظاهر، وتنكشف تلك الأسرار عبر تنوّع سياقات النصوص واختلاف مواقفها.

[18]أحمد بن مصطفى المراغي، *علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)*، د. ط، د. ت، ص43.

وقد بيّن السعد (ت 792 هـ) [19] أنّ الجملة الخبريّة تُستخدم أحيانًا لتحقيق مقاصد أخرى غير مجرّد نقل الحكم أو ما يرتبط به، ومن الأمثلة على ذلك خروج الخبر عن النموذج التقليديّ المتكرّر في جزء تبارك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[20]،فهنا نلحظ أنَّ الجملة الخبريّة قد عُدلت لتأدية معنى التهديد والوعيد، إلا أنّها صيغت بصيغة الكلام المُنصف، حيث جاءت في صيغة التقرير: (فستعلمون من هو في ضلال مبين)، وهي إشارة إلى أنّ الذين سيُكشف أمرهم هم منّا ومنكم، فيُبيّن أنّ الضلال واضحٌ وظاهر.

العدول التركيبي يتجلّى في تحويل الأسلوب الخبرِيّ التقليديّ إلى أسلوبٍ يحمل نبرة التهديد الضمنيّ، دون أن يتحوّل إلى خطابٍ مباشرٍ أو جازمٍ، ممّا يزيد من وقْع المعنى ويشدّ انتباه السامع.

الدلالة البلاغيّة هنا تكمن في الجمع بين الحياد الظاهريّ للكلام وبين تهديد صامت يُنبئ بعاقبة الضلال، فتبدو الآية كما لو أنّها تقريرٌ محايدٌ يحمل في طيّاته تحذيرًا شديدًا، ممّا يعزّز التأثير النفسيّ ويبرز البراعة في اختيار

[19] سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، *المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم*، تحقيق عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط.3، 1434هـ/ 2013م)، ص.20.

[20] سورة الملك، الآية29.

الأسلوب.

الاستنتاج :إنّ هذا النوع من العدول في الأسلوب الخبريّ يُظهر قدرة البلاغة القرآنيّة على توظيف الأساليب اللغويّة بمرونة عالية، فيضفي على الكلام قوّة معنويّة تجعل الخطاب أكثر تأثيرًا، ويُبرز حكمة التعبير وجماله في آنٍ واحد.

ومنه **أن ينزَّل غير المنكر منزلة المنكر:** يقول تعالى:﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [21]، وقد أُكّد الخبر باستخدام حرف التوكيد (إنَّ) رغم أنَّ المُخاطبين لا ينكرون حقيقة أنّ هذه الآيات تذكرة، إلّا أنّ الله تعالى نزّلهم منزلة المنكرين، وذلك بسبب تجاهلهم وعدم اهتمامهم بها.

العدول في البنية التركيبيّة هنا يظهر في تنزيل خبر غير منكر إلى مرتبة المنكر، وذلك بهدف التقريع والتنبيه على حالة الإهمال واللامبالاة لدى المخاطبين، رغم علمهم بحقيقة الآيات.

والدلالة البلاغيّة لهذا العدول تكمن في إبراز التوبيخ اللاذع للمخاطبين، فتأكيد التوكيد مع التنزيل لمنزلة الإنكار يعمّق وقع الرسالة، ويُظهر خطورة موقفهم في التفاعل مع الذكر الإلهي.

الاستنتاج :يُظهر هذا النوع من العدول البلاغيّ براعة الأسلوب القرآنيّ في توظيف أدوات التركيب لتحقيق تأثيرٍ نفسيٍّ وأخلاقيٍّ قويٍّ، حيث لا يكتفي بإخبار الحقيقة، بل يستخدم التشكيل البلاغيّ لإيصال رسالة أقوى تعكس

[21] سورة الإنسان، الآية29.

موقف المخاطب بدقّة وعمق.

وفي الختام: العدول في الأسلوبين الخبري والإنشائي دليلٌ على براعة التعبير وثراء اللغة، حيث تتحوّل الجمل من معانيها الأصليّة إلى دلالاتٍ بلاغيّةٍ متعدّدة تعكس عمق المقاصد، وتحقّق تأثيرًا قويًا يلامس عواطف المتلقّي ويشدّ انتباهه.

2. المبحث الثاني: التقديم والتأخير

ظاهرة التقديم والتأخير تُعدّ جزءًا من عمليات التحويل اللغويّ، إذ تتعلّق بترتيب الكلمات داخل الجملة وفق قواعد نحويّة محدّدة. فحين يُقدَّم ما كان ينبغي تأخيره، أو يُؤخَّر ما يستوجب تقديمه، يحدث ما يسمّى بالعدول عن الترتيب الأصليّ. وهذا التغيير لا يحدث لمجرّد التركيز أو الاهتمام، بل ينبع من أسباب تتعلّق بتنظيم المعاني، والتي قد تتنوّع لتخدم أغراضًا بلاغيّة مختلفةً. وعند مراجعتنا لآيات جزء تبارك، نجد روائع في تنسيق الألفاظ وترتيبها، تُظهر عظمة الإعجاز القرآنيّ التي تفوق قدرة البشر، كما نلحظ نماذج متعدّدة لأهداف التقديم والتأخير منها: ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[22] ، يرى ابن عاشور[23]: أنّ تقديم المسند (لِلْمُتَّقِينَ)على المسند إليه (جَنَّاتِ النَّعِيمِ) جاء لغرضٍ بلاغيٍّ بحتٍ، وهو

[22] سورة القلم، الآية34.

[23] ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، ج29، ص90.

إثارة التشويق إلى ذكر الجزاء العظيم، مع التركيز على شأن المتّقين ومكانتهم الرفيعة، حيث سَبَق ذكر صفتهم العظيمة على ذكر جزائهم.

تأتي اللام في كلمة (لِلْمُتَّقِينَ) على سبيل الاستحقاق، أمّا ظرف (عند) فيتعلّق بمعنى الوجود الذي اقتضاه حرف الجرّ في (لِلْمُتَّقِينَ)، لذا فقد قُدِّم المتعلّق بهما معًا على المسند إليه، إظهارًا لشرف المتّقين وبيان فضلهم ومكانتهم الرفيعة. ينتج عن هذا التقديم طول في العبارة يُثير انتباه السامع ويشدّ فضوله نحو المسند إليه (جزاء المتقين).

الدلالة البلاغيّة لهذا العدول في التركيب تتمثّل في تحقيق هدفين رئيسيين: بيان مكانة المتّقين وعلوّ منزلتهم، حيث يُعطى ذكرهم الأولويّة في التركيب ليدلّ على شرفهم. والتشويق إلى الجزاء العظيم الذي ينتظرهم، ممّا يرفع من وقع المعنى ويُحفّز المستمع على الانتباه لما سيأتي بعد ذلك.

الاستنتاج: إنّ التقديم والتأخير في التركيب ليسا مجرّد تغييرات شكليةٍ، بل أدوات بلاغيّة متقنة تستخدم لتسليط الضوء على المعاني المهمّة، وإثارة انتباه المستمع، ممّا يعزّز أثر الخطاب ويُبرز المقاصد السامية للنصّ القرآنيّ.

وفي قوله تعالى:﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[24]، يرى النسفيُّ[25] أنَّ الدعاء بدأ

[24] سورة نوح، الآية28.

بالتخصيص بذكر نفسه، ثمّ شمل أقرب الناس إليه وهما والداه، بعد ذلك عمّم بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات من أهله وذويه، متضمّنًا أولاده وأزواجه، وهو ترتيب يدلّ على الانتقال من الخاصّ إلى العامّ، ثمّ ختم بالدعاء على الظالمين.

ويشير الزركشيُّ[26] أ إلى تقديم لفظ الذكورة (المؤمنين) على الإناث (المؤمنات) وهو نمطٌ متكرّرٌ في القرآن، يعكس شرف الذكور وتحمّلهم المسؤوليّة، مع احتواء لفظ المؤمنين على الجنسين معًا، ثمّ تكرار ذكر

---

[25] حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفيّ، *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، تحقيق: يوسف علي بديويّ (بيروت: دار الكلم الطيّب، ط.1، 1419 هـ/ 1998 م)، ج5، ص547؛ *محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير*، ج 29، ص215؛ مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، تحقيق: مصطفى محمد الحديدى الطير، (الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط.١، ١٣٩٣ – ١٤١٤ هـ/ ١٩٧٣ – ١٩٩٣ م) ج10، ص1608.

[26] الزركشيّ، *البرهان في علوم القرآن*، ج3، ص252؛ شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبيّ، *فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب حاشية الطيبي على الكشّاف*، تحقيق: إياد محمد الغوج – د. جميل بني عطا– د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، (ط.1، 1434 هـ/ 2013 م)، ج16، ص44.

المؤمنات لعطف الخاصّ على العامّ للتوكيد والاهتمام[27].

هذا التقديم والتأخير في التركيب يعبّر عن اهتمامٍ خاصٍّ وتدرّج في الدعاء، حيث يبدأ بالدعاء للنفس، ثمّ للأقرب، ثمّ يتوسّع ليشمل الجميع، ممّا يعكس الاعتناء والترتيب المنطقيّ للأفضليات في الدعاء.

الدلالة البلاغيّة في هذا العدول تكمن في: إبراز العلاقة الخاصّة بين الداعي وذويه، وتوكيد الشموليّة في الدعاء، والتدرّج من الخاصّ إلى العامّ، وأخيرًا التمييز بين المؤمنين والظالمين، ممّا يُبرز الاختلاف الكبير في مصير كلٍّ منهم.

الاستنتاج: العدول في ترتيب الكلمات بين التقديم والتأخير يعكس حكمةً بلاغيّةً دقيقةً تهدف إلى إبراز العلاقات الشخصيّة، والتدرّج في الاهتمام، والتأكيد على شمول الدعاء، ممّا يعزّز من عمق المعنى ويزيد من تأثير الخطاب القرآنيّ على المتلقّي.

في الختام: نرى أنّ العدول بالتقديم يبرز قدرة اللغة على تنظيم المعاني بشكل يُلفت الانتباه ويُضفي على الكلام جماليّة خاصّة، ممّا يساعد على توجيه المعنى وإبراز ما يريد المتحدّث التأكيد عليه بأسلوبٍ فنيٍّ بليغٍ.

3. المبحث الثالث: الحذف

[27] محمّد الهلال، *تفسير القرآن الثريّ الجامع في الإعجاز البيانيّ واللغويّ والعلميّ* (دار المعراج، ودار جوامع الكلم، دمشق – سوريا، ط.1،1443 هـ / 2022 م)، ج 12، ص124.

نوع من العدول عن الأصل، حيث إنّ الذكر هو الأساس، ولا يُستبدل به إلّا لأسبابٍ دلاليّة وبلاغيّة يفرضها السياق، والتي تسهم في تعزيز تماسك النصّ وترابطه. ويكمن في ذلك حكمة بلاغيّة عظيمة، إذ لا يُحذف في القرآن الكريم أيّ شيءٍ إلّا إذا كان الحذف أكثر تأثيرًا وبلاغة من الذكر، بشرط وجود قرائن واضحة تمنع اللبس وتُبيّن المحذوف، أو وجود أسباب ومقتضيات بلاغيّة تُبرر الحذف وتفضلّه على الذكر[28]. ومن فوائد الحذف إثارة الانتباه، وتحفيز الخيال، وتنشيط التفكير لدى المتلقّي.

يتمثّل ذلك في حذف الفاعل وبنائه لغير فاعله لغرض تعظيم الفاعل، ورد منه قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾[29]، إذ يُلاحظ أنّ الفعل قد بُني للمجهول، فحُذِف الفاعل، مع أنّ المقصود به ظاهرٌ، وهو الله –سبحانه وتعالى– إذ لا يقدر على جمع الشمس والقمر في مشهدٍ واحدٍ إلّا هو جلّ وعلا.

هذا الحذف يُعدّ عدولًا عن الأصل، لأنّ الأصل في التركيب العربيّ هو ذكر الفاعل إذا لم يكن هناك مانعٌ من ذلك، لكنّه هنا حُذِف لغايةٍ بلاغيّةٍ، وهي تعظيم الفاعل، وإجلال قدرته، وإبراز هيبته. فعدم التصريح بالفاعل مع

[28] عبد العزيز عتيق، *علم المعاني*، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ط1، 1430 هـ / 2009 م)، ص122.

[29] سورة القيامة، الآية9.

وضوحه، يجعل القارئ أو السامع يتأمّل في عظمة هذا الحدث، ويستشعر ضخامة المشهد، ويستحضر قدرة الله تعالى المطلقة، دون أن يُصرّح بالاسم، بل يترك أثره في النفس أبلغ من الذكر.

الدلالة البلاغيّة للحذف هنا تتجلّى في: تعظيم الفاعل وإجلاله، حيث لا يُذكر تعمّدًا ليرتقي المعنى من التصريح إلى الإيحاء والتقديس. وتهويل الموقف وإبراز فداحة المشهد، فالجمع بين هذين الكوكبين الكبيرين لا يكون إلّا لأمرٍ عظيم. وشدّ انتباه السامع، إذ يتوقّف ذهنه عند الفعل المبنيّ للمجهول، ليتساءل من الذي فعل؟ فيدرك بقوّة السياق أنّه الله تعالى، فتتأكّد لديه عظمته وجبروته.

الاستنتاج: إنّ بناء الفعل للمجهول في هذا السياق، مع حذف الفاعل، ليس مجرّد حذف نحويّ، بل هو عدولٌ بلاغيٌّ مقصود، يهدف إلى التعظيم والتهويل، ويُضفي على النصّ رهبةً وجلالًا، وهو من أرقى مظاهر البلاغة في القرآن الكريم.

ومنه حذف المفعول به في قوله تعالى :﴿إِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا﴾[30]، يُلاحظ أنّ الآية جاءت على صورة خبر مباشر دون التصريح بالفعل القوليّ، مع أنّ السياق يدلّ على أنّ هذا القول موجّه إلى أهل الجنّة،

[30] سورة الإنسان، الآية22 .

أي إنّ التقدير :"يُقال لهم: إنّ هذا كان لكم جزاءً..." [31]، هذا الأسلوب يُمثّل عدولًا في التركيب يتمثّل في حذف مقول القول، وهو خلاف الأصل، حيث يُنتظر عادةً أن يُقدَّم القول بالفعل أو ما يدلّ عليه صراحة، لكنّ الحذف هنا بلاغيٌّ مقصودٌ، له عدّة دلالات.

الدلالة البلاغيّة للحذف في هذا الموضع تتجلّى في: الإيجاز والاختصار، إذ استُغني عن التصريح بالفعل لأنّ المقام والسياق كفيلان بإفهامه. والتفخيم والتعظيم، فبمجرّد أن يُلقى هذا القول مباشرة دون مقدّمة، يتعاظم في نفس السامع قدرُه، ويستشعر فخامته وسموّ قائله، وهو الله تعالى. إضافة إلى رفع شأن المقول، حيث أُسند القول مباشرة وكأنّ اللفظ ذاته من علوِّه لا يحتاج إلى تمهيد، بل يُفهم من قوّته ومكانته.

الاستنتاج: يُعدّ حذف مقول القول في هذه الآية عدولًا عن الأصل التركيبيّ يُقصد به تعظيم الكلام ومقام قائله، ويضفي على النصّ قوّة وجلالًا، كما يُسهم في إيقاعٍ بلاغيٍّ متميّزٍ يُعبّر عن عظمة الجزاء وعلوّ المنزلة، ويثير في النفس رهبة وتقديرًا لجمال الخطاب القرآنيّ وروعة نظمه.

يمثّل الحذف في التركيب القرآنيّ مظهرًا من مظاهر البلاغة الرفيعة، حيث لا يُستغنى عن الذكر إلّا إذا كان الحذف أبلغ وأعمق أثرًا في النفس. وقد تنوّعت مقاصده بين الإيجاز، والتفخيم، والتشويق، ولفت الانتباه، ممّا يُبرز دقّة

[31] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج29، ص401.

التعبير القرآنيّ وروعة نظمه، ويؤكّد أنّ كلّ محذوف فيه إنّما حُذف لحكمة بلاغيّة يقتضيها المقام والسياق.

4.الالتفات:

يُعدّ الالتفات مظهرًا من مظاهر العدول التركيبيّ، إذ يتحوّل فيه التعبير من صيغة لغويةٍ إلى أخرى لا يقتضيها السياق المباشر، بل تُمليها اعتبارات بلاغيّة وفنيّة. فالأسلوب يترك النسق المتوقّع لينتقل إلى نسق آخر يخالفه، ما يمنح الخطاب طاقة دلاليّة إضافيّة. وهذا ما ألمح إليه القزوينيّ[32] في تعريفه للالتفات، حين وصفه بأنّه: "الانتقال في التعبير عن المعنى الواحد بين ثلاث صيغ لغويّة: صيغة المتكلّم، وصيغة الغائب، وصيغة المخاطب"، وذلك بعد أن ابتدأ الكلام بإحداها، فيتحقّق بذلك نوع من التنويع المقصود في البناء الأسلوبيّ.

إنّ الالتفات في الأسلوب ليس مجرّد وسيلة لإضفاء حيويّة على الكلام أو تنشيط انتباه المتلقّي فحسب، بل قد يكون نابعًا من حاجة داخليّة لدى المتكلّم نفسه، إذ لا يجد أحيانًا وسيلةً أصدق في التعبير عمّا يختلج في نفسه من مشاعر وأفكار إلّا عبر هذا العدول الأسلوبيّ عن النسق المعتاد. ولهذا، لا يصحّ ـ في نظر بعض النقّاد المعاصرين ـ اعتباره مجرّد تنويعٍ شكليٍّ يُقصد به

[32] جلال الدين، محمَّد بن عبد الرحمن بن عمر القزوينيّ، *الإيضاح في علوم البلاغة*، تح: محمَّد عبد المنعم خفاجيّ، (دار الجيل، بيروت، ط.3، د.ت)، ج2، ص85.

الترويح عن المتلقّي، بل هو اختيارٌ فنّيٌّ له جذورٌ في نفس المتكلّم.

وفي هذا السياق، يمكن تتبّع أبرز المواضع التي تجلّى فيها الالتفات بنحوٍ واضح في جزء تبارك، وذلك في سبيل الكشف عن القيم البلاغيّة والأبعاد الدلاليّة التي يضفيها هذا الأسلوب على النظم، خاصّة في بعض التراكيب التي يحمل فيها الالتفات أثرًا بيّنًا في عمق المعنى وقوّة التأثير. وسأعرض بعض النماذج منها:

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب :ورد منه قوله تعالى :﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾[33]، يظهر في هذه الآية عدولٌ في البنية التركيبيّة يتمثّل في الانتقال من الغَيبة إلى الخطاب؛ فالسياق العامّ للحديث كان بصيغة الغائب، إذ كان يتحدّث عن المكذّبين بصيغة غير مباشرة، وكان المتوقع أن يُقال: (إنّا أرسلنا إليهم رسولًا)، لكنّ الآية الكريمة عدلت إلى صيغة الخطاب المباشر: (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ). وقد أشار الآلوسيّ[34] إلى هذا الالتفات، مبينًا أنّ الغرض منه بلاغيًّا هو التقريع والتوبيخ والتهديد،

[33] سورة المزَّمِّل، الآية15.

[34] شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسيّ، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، تح: علي عبد الباري عطيَّة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1415هـ/ 1994م)، ج.15، ص. 120؛ عمر بن عليّ ابن عادل، *اللباب في علوم الكتاب*، تح: الشيخ أحمد عبد الموجود – علي محمَّد معوض، (دار الكتب العلميّة، بيروت، ط. 1، 1419 هـ/ 1998 م)، ج19، ص473.

فالتوجّه بالخطاب المباشر إلى المخاطَبين يُحمّلهم مسؤوليّة التكذيب بشكلٍ مباشرٍ، ويزيد من حدّة الإنكار عليهم، بخلاف الغيبة التي قد تخفّف وقع المعنى.

الدلالة البلاغية: التقريع المباشر، بإخراج المخاطبين من دائرة الغياب إلى المواجهة. والتوبيخ والتأكيد على المسؤوليّة، إذ لا عذر لهم وهم يسمعون هذا الكلام موجّهًا إليهم. والإثارة والانتباه، لأنّ التحوّل المفاجئ في الضمائر يجذب السامع ويجعله في حالة يقظةٍ وانتباه.

الاستنتاج: يمثّل هذا الالتفات عدولًا عن الأصل التركيبيّ المألوف في الضمائر، حيث انتقل النصّ من الغيبة إلى الخطاب، ليتحقّق بذلك أثر بلاغيّ قويٌّ، يتمثّل في شدّة التوبيخ ووضوح الإدانة، وهو ما يُضفي على الخطاب القرآنيّ حيويّة وعمقًا دلاليًا، ويجعل الرسالة أكثر تأثيرًا وإقناعًا.

من صور الالتفات البديعة في القرآن الكريم أيضًا: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وهو انتقال المتكلّم من توجيه الكلام مباشرةً إلى المخاطب، إلى الحديث عنه بصيغة الغائب، وذلك لأغراض بلاغيّة متعدّدة، من أبرزها الإعراض عن المخاطَبين[35]، وبيان الغضب منهم. ومن أمثلته قولُه تعالى:

[35] إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي البروسوي، *روح البيان* (دار الفكر، بيروت)، ج 10، ص91.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [36]، وهذه الآية جاءت بعد آيتين تتابعتا على أسلوب الخطاب المباشر، وهما: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾،[37] ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[38]، ثمّ جاء العدول إلى صيغة الغائب في الآية التي بعدها: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، والأصل، لو استمرّ السياق على النسق السابق، أن يُقال: (وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ)، لكنّ التحوّل إلى الغيبة يُمثّل التفاتًا مقصودًا له دلالة بلاغيّة عميقة.

الدلالة البلاغيّة: أشار ابن عاشور [39]: إلى أنّ هذا التحوّل يعكس إعراضًا عن المخاطَبين[40]، وغضبًا من موقفهم، حيث لم يَعد أهلًا لأن يُوجَّه إليهم الخطاب بعد أن وُجِّه إليهم الوعظ والتهديد والبيان، فلم يستجيبوا. ولذلك نُزِّلوا منزلة الغائبين، وأُخرجوا من مقام التشريف بالخطاب إلى الإخبار عنهم بصيغة الغيبة، تنبيهًا على بعدهم المعنويّ عن المقام الكريم الذي يتوجّه فيه كلام الله إلى عباده. فجاء الالتفات هنا وسيلةً بلاغيّة لإظهار: الاستياء من حالهم. والتحقير من شأنهم. وإبعادهم من مقام المواجهة والتكريم. والتحفيز على

[36] سورة الملك، الآية18.

[37] سورة الملك، الآية16.

[38] سورة الملك، الآية 17.

[39] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج 29، ص36.

[40] الآلوسي، *روح المعاني*، ج15، ص19.

التدبّر من خلال التحوّل المفاجئ في الخطاب.

الاستنتاج: يُعدّ هذا الالتفات من العدول التركيبيّ المقصود، حيث خرج التركيب من أسلوب الخطاب إلى الغيبة لأداء وظيفة بلاغيّة عالية التأثير، تتمثّل في الإعراض والتقريع، وإبراز مدى الانفصال بين حال المخاطَبين ومقام الهداية، وهو ما يُضفي على الخطاب القرآنيّ عمقًا في التصوير وبلاغةً في الإيصال، تجعل القارئ والمخاطب أقرب إلى التأمّل والتأثّر.

خاتمة:

يتّضح من العرض السابق أنّ العدول التركيبي في القرآن الكريم – سواء بالتقديم والتأخير، أو الحذف، أو الالتفات، أو الانتقال بين الإنشاء والخبر – ليس مجرّد تزيين لغويّ، بل هو أداة بلاغيّة مقصودة، تُسهم في توجيه المعنى وتعميق الأثر. فالقرآن يعمد إلى هذه الأساليب ليؤكّد المعنى، ويثير الانتباه، ويعزّز التفاعل النفسيّ مع الخطاب، ممّا يدلّ على روعة نظمه ودقّة اختياره لكلّ تركيب، في إطار إعجازيّ يفوق طاقة البشر.

النتائج:

1 – العدول البلاغيّ في الأساليب الإنشائيّة والخبريّة يكشف عن عبقريّة البيان القرآنيّ، حيث تتحوّل التراكيب من معناها الظاهريّ إلى دلالات أعمق تُعبّر عن المقام بأقصى درجات التأثير والإعجاز.

2 –العدول بالتقديم والتأخير يُعدّ من أعظم مظاهر البلاغة في القرآن الكريم، إذ يُسهم في إبراز المعاني الدقيقة، وتوجيه الانتباه لما هو أهمّ، ويُضفي على

الخطاب بُعدًا فنيًّا يرسّخ الأثر في نفس المتلقّي.

3- الحذف في القرآن الكريم ليس نقصًا في البيان، بل هو عدول بلاغيّ مقصود يُضفي على الكلام قوّةً وجلالًا، ويُبرز المعنى بعمقٍ وإيجاز، حيث يُستعاض عن الذكر الصريح بما هو أبلغ أثرًا وأشدّ وقعًا في النفس.

4- يُعدّ الالتفات مظهرًا بلاغيًّا راقيًا من مظاهر العدول في التركيب القرآنيّ، يحقّق تنويعًا أسلوبيًّا مقصودًا، ويُضفي على الخطاب طاقة دلاليّة تُعزّز التأثير في المتلقّي، فتارةً يُستخدم للتوبيخ والتقريع المباشر، وتارةً أخرى للإعراض والتحقير، ممّا يمنح النصّ عمقًا في التعبير وقوّةً في الإقناع والتأثير.

المصادر والمراجع

1ـ الآلوسي. شهاب الدين محمود. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تحقيق: علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1.1415هـ/ 1994م.

2– الإسفراييني. عصام الدين إبراهيم. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية. د. ط. د.ت.

3– ابن عاشور. محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية. 1404.هـ/ 1984 م.

4– ابن عادل. عمر بن علي. اللباب في علوم الكتاب. تحقيق: أحمد عبد الموجود. علي محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1. 1419 هـ / 1998 م،

5– البيضاوي. عبد الله بن عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط1. 1418 هـ.

6– البروسوي. إسماعيل حقي. *روح البيان*. بيروت: دار الفكر. د.ت.

7 – لتفسير الوسيط للقرآن الكريم. إشراف: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية.

8– حبنَّكة. عبد الرحمن بن حسن .البلاغة *العربيّة*، دار القلم، دمشق؛ بيروت: الدار الشاميّة. ط.1. 1416 هـ/ 1996م.

9– الدسوقي. محمد بن عرفة. حاشية الدسوقي على مختصر المعاني.

تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بيروت: المكتبة العصرية، د. ط. د.ت.

10– الزركشي. بدر الدين محمد. البرهان في علوم القرآن .تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. حلب: دار إحياء الكتب العربية، ط1. 1376هـ/ 1957م.

11– السبكي. أحمد بن علي. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بيروت: المكتبة العصرية. ط1. 1423 هـ / 2003 م.

12– الطيبي. شرف الدين الحسين. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية على الكشاف). تحقيق: إياد محمد الغوج. جميل بني عطا. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء. ط1. 1434 هـ/ 2013 م.

13– عتيق. عبد العزيز. علم المعاني. بيروت: دار النهضة العربية. ط 1. 1430هـ/ 2009 م.

14– القرطبي. محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني. إبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية. ط2. 1384 هـ / 1964 م.

15– القزويني. جلال الدين محمد. *الإيضاح في علوم البلاغة*. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. بيروت: دار الجيل، ط3. دون تاريخ.

16– قطب. سيِّد. إبراهيم حسين الشاذليّ (ت:1387هـ/ 1967م): في ظلال القرآن. دار الشروق. القاهرة. ط35. 1425هـ/ 2005م.

17– النسفي. عبد الله بن أحمد. مدارك التنزيل وحقائق التأويل. تحقيق: يوسف علي بديوي. بيروت: دار الكلم الطيب. ط1. 1419 هـ/ 1998 م.

18 – الهلال. محمد .تفسير القرآن الثريّ الجامع في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي. دار المعراج. ودار جوامع الكلم. دمشق – سوريا. ط1.1443 هـ / 2022 م.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)